

خطبة الجمعة بتاريخ ٢٦ من شوال ١٤٣٥ هـ / الموافق ٢٢ / ٨ / ٢٠١٤ م

مع تعديل هام

إعلاء الإسلام لقيمة العلم

وتحريمه لكل ألوان الغش

أولاً - العناصر:

- ١ قيمة العلم في الإسلام .
- ٢ فضل العلم والعلماء.
- ٣ الحث على طلب العلم والعمل به.
- ٤ العلم والأخلاق.
- ٥ دور العلم في نهضة الدول وتقدير الأمم .
- ٦ الغش في التعليم وأثره المدمر على الفرد والمجتمع .

ثانياً - الأدلة :

الأدلة من القرآن :

- ١- قال تعالى: {اقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق الإنسان من علقي * اقرأ وربك الأكرم * الذي علّم بالقلم * علّم الإنسان ما لم يعلم} [العلق: ١-٥].
- ٢- وقال تعالى : {شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَاتِلًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [آل عمران: ١٨].
- ٣- وقال تعالى: {وَعَلِمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلُّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِيُونِي بِاسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِاسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَاهُمْ بِاسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبَدُّونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ} [البقرة: ٣١ - ٣٣].
- ٤- وقال تعالى : {يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ يَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} [المجادلة: ١١].
- ٥- وقال تعالى : {قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ} [الزمر: ٩].

- ٦- وقال تعالى: {الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَارٍ} [غافر: ٣٥].
- ٧- وقال تعالى: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدُدٌ يَبِضُّ وَحُمُرٌ مُخْتَلِفُ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ} (٢٧) وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِ وَالْأَنْعَامُ مُخْتَلِفُ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ} [فاطر: ٢٨-٢٧].
- ٨- وقال تعالى: {بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أَوْتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ} [العنكبوت: ٤٩].
- ٩- وقال تعالى: {وَتَلَكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالَمُونَ} [العنكبوت: ٤٣].

الأدلة من السنة والآثار:

- ١- عن أبي الدرداء (رضي الله عنه) قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: (من سلك طريقاً يطلب فيه علمًا سلك الله به طريقاً من طرق الجنة، وإن الملائكة لتصنع أحجنتها رضا طالب العلم، وإن العالم ليستغفر له من في السموات، ومن في الأرض، والحيتان في جوف الماء، وإن فضل العالم على العايد، كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر) (سنن أبي داود).
- ٢- وعن حذيفة بن اليمان (رضي الله عنه) قال: قال لي رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (فضل العلم خير من فضل العبادة، وخير دينكم الورع) (رواوه الحاكم في المستدرك).
- ٣- وعن أبي أمامة الباهلي (رضي الله عنه) قال: ذكر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) رجلان أحدهما عايد والآخر عالم، فقال رسول الله: (فضل العالم على العايد كفضلي على أدناكم)، ثم قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (إن الله ومملكته وأهل السموات والأرضين حتى النملة في جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير) (سنن الترمذى).
- ٤- عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "من غشنا فليس منا" (رواوه مسلم) .
- ٥- وقال عمر بن الخطاب (رضي الله عنه): (تعلموا العلم وتعلموا للعلم السكينة والحلم وتواضعوا لمن تعلمون وليتواضع لكم من تعلموه ، ولا تكونوا من جباررة العلماء فلا يقوم علمكم بجهلهم) .
أدب الدنيا والدين).
- ٦- وعن رجاء بن حيوة عن معاذ بن جبل (رضي الله تعالى عنه) قال: «تعلموا العلم؛ فإن تعلمه لله تعالى خشية، وطلبه عبادة، ومداقرته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه لمن لا يعلم صدقة، وبذله

لِأَهْلِهِ قُرْبَةُ؛ لِأَنَّهُ مَعَالِمُ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ، وَمَنَارُ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَالْأَنْسُ فِي الْوَحْشَةِ، وَالصَّاحِبُ فِي الْغُرْبَةِ، وَالْمُحَدَّثُ فِي الْخَلْوَةِ، وَالدَّلِيلُ عَلَى السَّرَّاءِ وَالضَّرَاءِ، وَالسَّلَاحُ عَلَى الْأَعْدَاءِ، وَالدِّينُ عِنْدَ الْأَجْلَاءِ، يَرْفَعُ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ أَقْوَامًا، وَيَجْعَلُهُمْ فِي الْخَيْرِ قَادِةً وَأَئِمَّةً، تُقْتَبِسُ آثَارُهُمْ، وَيُقْتَدَى بِفَعَالِهِمْ، وَيُسْتَهَى إِلَى رَأْيِهِمْ، تَرْغَبُ الْمَلَائِكَةُ فِي خَلْتِهِمْ، وَيَأْجُنْحُهُمَا تَمْسَحُهُمْ كُلُّ رَطْبٍ وَيَأْسٍ، حَتَّى الْحِيتَانُ فِي الْبَحْرِ وَهَوَاهُمْ، وَسَبَاعُ الطَّيْرِ وَأَعْمَامُهُ، لَأَنَّ الْعِلْمَ حَيَاةُ الْقُلُوبِ مِنَ الْجَهْلِ، وَمَصْبَاحُ الْأَبْصَارِ مِنَ الظُّلُمِ، يَبْلُغُ بِالْعِلْمِ مَنَازِلَ الْأَخْيَارِ، وَالدَّرَجَاتُ الْعُلْيَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. وَالْتَّفَكُّرُ فِيهِ يَعْدِلُ بِالصَّيَامِ، وَمُدَارَسَتُهُ بِالْقِيَامِ، بِهِ تُوَصَّلُ الْأَرْحَامُ، وَيُعْرَفُ الْحَلَالُ مِنَ الْحَرَامِ، إِمَامُ الْعُمَالِ، وَالْعَمَلُ تَابِعُهُ، يُلْهُمُ السُّعَادَاءَ، وَيُحْرِمُهُ الْأَشْقِيَاءِ» [حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٢٣٩ / ١)].

ثالثاً - الموضع:

إن العلم هو القوة الدافعة للأمم نحو التقدم، وهو الأداة القوية التي تبني بها الحضارات، وهو سفينة الحائرين إلى بر الهداية والنور، ولأهميةه ومكانته جعل الإسلام له فضلاً عظيماً ولطالبه شرفاً ونبلاً، فهو أفضل ما رغب فيه الراغب وجده في طلبه الطالب، فالله تبارك وتعالى شهد لنفسه بالوحدانية وثني بالملائكة وأولي العلم، قال تعالى: {شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَإِلَهٌ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [آل عمران: ١٨].

فما من شك أن العلم له مكانة عالية في الإسلام؛ لأنَّه حياة القلوب ونور الأ بصار، به يبلغ الإنسان منازل الأبرار، وبه يطاع الله، وبه يعبد، وبه يوحده، وبه يُمجَّد وبه توصل الأرحام، وبه ترفع الأمم أعلى الدرجات، فـالإسلام دين العلم، لا يُعرفُ دينٌ مثلُه أشدُ بالعلم وحثَّ عليه، ورغبة في طلبه، ونحوه بمكانة أهله، وأعلى من قدرهم، وبين فضل العلم وأثره في الدنيا والآخرة، وحضرَ على التعليم والتعليم، وحسبنا أن أول آيات نزلت من الوحي على قلب رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أشارت إلى فضل العلم، حيث أمرت بالقراءة وهي مفتاح العلم، ونوهت بالقليل وهو أدلة نقل العلم، وذلك في قوله تعالى: {أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَمَ بِالْقَلْمَ * عَلَمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ} [العلق: ١ - ٥].

فهذه أول صيحة تنوّه بقيمة العلم، وتعلن الحرب على الأمية الغافلة، وتجعل البنية الأولى في بناء كل إنسان عظيم أن يقرأ وأن يتعلم، فهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن مكانة العلم في الإسلام لا تدانيها مكانة، وقد دل على ذلك أنه المنحة الإلهية التي رفع الله بها مقام آدم على ما دونه من الملائكة (عليهم السلام)، قال تعالى: {وَعَلَمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِاسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ قَالَ يَا

آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَاهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ اللَّهُ أَقْلُكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبَدِّلُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ} [البقرة: ٣١ - ٣٣].

ولقد عني الإسلام بالعلم عنایة فائقة ، وحث أتباعه على طلبه، والبحث والتفكير في كل ميدان من ميادين المعرفة، وكل مجال من مجالات الحياة ، والقرآن الكريم به الكثير من الآيات التي تشير إلى هذا، قال تعالى : {بَلْ هُوَ آيَاتٌ يَبَيِّنُونَ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أَوْتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ} [العنكبوت: ٤٩].

إنَّ الْعِلْمَ يَثْمِرُ لِصَاحِبِهِ الْخَيْرَ وَالْهَدَايَا، وَفَضْلُهُ يَزْدَادُ عِنْدَ طَالِبِهِ، وَقَدْ شَرْفُ الْحَقِّ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى الْعَالَمُ وَمِيزَهُ عَنْ غَيْرِهِ، وَأَخْبَرَ أَنَّهُ لَا يَعْقُلُ آيَاتَهُ وَيَفْهَمُهَا حَقُّ فَهْمِهَا وَيَنْزَلُهَا الْمَكَانَةُ الْلَّائِقَةُ بِهَا إِلَّا الْعَالَمُونَ، فَقَالَ سَبْحَانَهُ: {قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ} [الزمر: ٩] ، فَالْعِلْمُ فِي ذَاتِهِ غَايَةٌ؛ يَدِلُّ عَلَى ذَلِكَ مَا جَاءَ عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ (رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ) قَالَ: «تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ؛ فَإِنَّ تَعْلُمَهُ لِلَّهِ تَعَالَى خَشِيَّةٌ، وَطَلَبَهُ عِيَادَةٌ، وَمَذَا كَرَّهَ تُسْبِحُ، وَالْبُحْثُ عَنْهُ جَهَادٌ، وَتَعْلِيمُهُ لِمَنْ لَا يَعْلَمُ صَدَقَةٌ، وَبَذْلُهُ لِأَهْلِهِ قُرْبَةٌ؛ لِأَنَّهُ مَعَالِمُ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ، وَمَنَارُ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَالْأَنْسُ فِي الْوَحْشَةِ، وَالصَّاحِبُ فِي الْغُرْبَةِ، وَالْمُحَدِّثُ فِي الْخَلْوَةِ، وَالدَّلِيلُ عَلَى السَّرَّاءِ وَالضَّرَاءِ، وَالسِّلَاحُ عَلَى الْأَعْدَاءِ، وَالَّذِينَ عِنْدَ الْأَجْلَاءِ..

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ): (تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ وَتَعَلَّمُوا لِلْعِلْمِ السَّكِينَةَ وَالْحِلْمَ وَتَوَاضَعُوا لِمَنْ نُعَلِّمُونَ وَلْيَتَوَاضَعْ لَكُمْ مَنْ نُعَلِّمُونَهُ، وَلَا تَكُونُوا مِنْ جَبَابِرَةِ الْعُلَمَاءِ فَلَا يَقُومُ عِلْمُكُمْ بِجَهَلِكُمْ). (أدب الدنيا والدين).

فطبيعة الإسلام تفرض على الأمة المسلمة أن تكون أمة متعلمة ترفع فيها نسبة المثقفين، وتهبط أو تندفع نسبة الجاهلين ، فإن قيمة العلم في الإسلام كقيمة الحياة بالنسبة للإنسان.

وكذلك أعلى القرآن الكريم من شأن العلم، فعُبَرَ عنه بالسلطان ، فقال تعالى: {الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ يَعْيِرُ سُلْطَانًا أَتَاهُمْ كَبَرَ مَقْنًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا} [غافر: ٣٥]، وقال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ يَعْيِرُ سُلْطَانًا أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبَرُّ مَا هُمْ بِيَالِغِيهِ} [غافر: ٥٦].

ولله در سيدنا علي (رضي الله عنه) حين قال: (العلم خير من المال ، العلم يحرسك وأنت تحرس المال ، والعلم حاكم والمال محكوم ، والمال تنقصه النفقه والعلم يذكر بالإنفاق).

فالعلم ضرورة ملحة ، وحاجة ماسة ، عليها تتوقف سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة. ومن هنا كان طلب العلم فريضة ، كما روى ابن ماجة عن أنس بن مالك (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيْضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ).

وأما عن فضل العلماء ومنزلتهم؛ فقد مدح الله أهل العلم وأثنى عليهم وشرفهم، ورفع منازلهم وقدر جهودهم،وسما بدرجاتهم حتى قرنهم الحق سبحانه بنفسه وملائكته في الشهادة بوحدانيته والإقرار بعدالته، قال تعالى:{ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } [آل عمران: 18].

وقال عز وجل: {يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ يَمْأُلُونَ خَيْرًا} [المجادلة: ١١]. وما ذلك إلا لأن العلماء أكثر الناس معرفة بربهم، وأحرص الناس على تبليغ كلام خالقهم ، بل هم أكثر الناس خشية لله بما أدركوا من آثار قدرته وعظمته، فقال : {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ} [فاطر: ٢٨].

ومن ثم فإن للعلماء مكانة عظيمة حفظها لهم الشعـ الحنـيف لعظم قدرـهم في الأـمة ، فـهم ورثـة الأنـبياء
وـهم المـفضلـون بـعد الأنـبياء عـلى سـائـر البـشـر ، فـعـن أـبي أـمـامـة البـاهـلي (رضـي اللهـ عـنـهـ) قـالـ: ذـكـر لـرسـولـ
اللهـ (صـلـى اللهـ عـلـيـهـ وـسـلمـ) رـجـلـانـ أـحـدـهـمـا عـاـيدـ وـالـآخـرـ عـالـمـ، فـقـالـ رـسـولـ اللهـ (صـلـى اللهـ عـلـيـهـ وـسـلمـ) :
(فـضـلـ الـعـالـمـ عـلـى العـاـيدـ كـفـضـلـيـ عـلـى أـدـنـاكـمـ)، ثـمـ قـالـ رـسـولـ اللهـ (صـلـى اللهـ عـلـيـهـ وـسـلمـ) : (إـنـ اللهـ
وـمـلـاـتـكـتـهـ وـأـهـلـ السـمـوـاتـ وـالـأـرـضـينـ حـتـىـ النـمـلـةـ فـي جـحـرـهـاـ وـحـتـىـ الـحـوـتـ لـيـصـلـلـونـ عـلـى مـعـلـمـ النـاسـ
الـخـيـرـ) (سنـنـ التـرمـذـيـ).

لذلك أمر سبحانه وتعالى بسؤال أهل العلم والرجوع إليهم فيما يشكل ، فقال: {فَاسْأَلُوا أَهْلَ الدِّرْكِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} [النحل: ٤٣].

وأما عن الحث على طلب العلم والعمل به ، فإن طلب العلم والسعى في تحصيله واجب على كل مسلم ومسلمة ، ولقد أوضح رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فضيلة طلبه في حديث يدفع كل من قرأه بتذكرة إلى المسارعة في طلب العلم ، وإفشاء العمر في سبيل تحصيله ، فقال : (مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا مِنْ طُرُقِ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضَا لِطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّ الْعَالَمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ، وَمَنْ فِي الْأَرْضِ، وَالْحِيتَانُ فِي جَوْفِ الْمَاءِ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالَمِ عَلَى الْعَابِدِ، كَفَضْلٍ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَتَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُورِثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، وَرَثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٌّ وَآفِرٌ) (سنن أبي داود).

وقد جاء عن سلف الأمة الصالح (رضي الله عنهم وأرضاهم) عدة معانٍ جديرة بالذكر والعنابة؛ تبيان
حقيقة الطلب الشرعي للعلم والهمة التي ينبغي أن يكون عليها طالب العلم. من ذلك:
ما روي عن ابن مسعود (رضي الله عنه) (قال: ليس العلم بكثرة الرواية؛ وإنما العلم الخشية، وكان
الحسن البصري (رضي الله عنه) يقول: اعملوا ما شئتم أن تعملوا فو الله لا يؤجركم الله تعالى عليه

حتى تعملوا؛ فإن السفهاء همتهم الرواية؛ وإن العلماء همتهم الرعاية. وَقَالَ مَالِكُ: الْعِلْمُ نُورٌ يَجْعَلُهُ اللَّهُ حِيثُ يَشَاءُ وَلَيْسَ بِكَثْرَةِ الْرَوَايَةِ؛ وَلَذِكْرِ قَالَ الشَافِعِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِذَا ذَكَرَ الْعُلَمَاءَ فَمَا لَكَ النَّجْمُ الثَّاقِبُ؛ وَمَا أَحَدٌ أَمِنَ عَلَيْهِ مِنْ مَالِكَ.

فالعلم نور وهدى ، يعطيه الله تعالى لمن اتقاه واتبع رضاه ، يقول الإمام الشافعي :

شَكْوَتُ إِلَيْهِ وَكَيْعٍ سُوءَ حِفْظِي ... فَأَرْشَدَنِي إِلَى تَرْكِ الْمَعَاصِي
وَأَخْبَرَنِي بِأَنَّ الْعِلْمَ نُورٌ ... وَنُورُ اللَّهِ لَا يُهْدِي لِعَاصِي

ولقد كان في الأمة الإسلامية نماذج من العلماء الذين أثروا الحياة بعلمهم وأخلاقهم ، وإعمال فكرهم، منهم على سبيل المثال: عبد الله بن عباس (رضي الله عنهما) حبر الأمة وترجمان القرآن، عُرفَ بشيخ المفسرين ، وعبد الله بن عمر (رضي الله عنهما) من السبعة المكثرين لرواية الحديث، ومعاذ بن جبل (رضي الله عنه) حامل لواء العلماء يوم القيمة ، وأتى من بعدهم أئمة أعلام ملؤوا الأرض علمًا منهم : ابن النفيسي الدمشقي الذي نبغ في الطب وأول من اكتشف الدورة الدموية ، وأبو بكر الرازي ، وابن سينا، وغيرهم كثير ممن أفادوا البشرية بعلمهم وكانوا مثلاً يحتذى بهم ، فالواجب على شباب الأمة أن يحذوا حذوهم وأن ينهلوا من العلم حتى ينهضوا بالأمة، على أن من الخطورة بمكان أن يتصدى الإنسان للفتوى بدون علم، فيفضل الناس، يقول النبي (صلى الله عليه وسلم): «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْتَزَعُ الْعِلْمَ مِنَ النَّاسِ انتِزَاعًا وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعُلَمَاءَ فَيَرْفَعُ الْعِلْمَ مَعَهُمْ وَيَبْقَى فِي النَّاسِ رُءُوسًا جُهَاحًا لَيُفْتَوَّهُمْ بِعَيْرِ عِلْمٍ فَيَضِلُّونَ وَيُضِلُّونَ» [صحيح مسلم]

ومن هذا يتضح أن الإسلام يدعو إلى العلم ويحرر العقل ، ويحدث على النظر في الكون، وينشئ العقلية العلمية التي تبدع وتبتكر، ويرفض العقلية الجاهلية المستسلمة لكل ما يتوارثه الناس، دون مناقشة له ، فالآمة الإسلامية لا يمكن لها أن تنهد إلا بالعلم ، ولا يمكن لها أن تتبوا مكان الصدارة إلا بالعلم ، ولا يمكن لها أن تقضي على التخلف والأمراض والفقر إلا بالعلم ، ولا يمكن لها أن تقود غيرها إلا بالعلم ، فالعلم هو الأساس لوحدتها ، هو الأساس لغلاحها أفراداً وجماعات ، فالعلم مأمور به قبل العمل ، لأنَّه أساس له قال الله تعالى : {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَنْتَوْا كُمْ} [محمد: ١٩].

فالعلم يعني الأفراد وينهض بالمجتمعات؛ وبه تقوى الدول وتتقدم الأمم؛ والواقع خير شاهد على أن الأمم والدول التي اعتمدت العلم سبيلاً لنهضتها؛ صارت في مقدمة الأمم؛ وأن غيرها من تقاعست بقيت في ذيل الأمم. ومن ثمرأينا الحق حين ذكر العلوم جملة وتفصيلاً؛ قدم العلوم التجريبية على العلوم الدينية؛ لأن عمارة الأرض إنما تكون بتطبيق نظريات الكتاب على واقع الحياة والأحياء. قال

عز وجل : { أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِيَالِ جُدُدٌ يَضْعُفُ
وَحُمْرٌ مُخْتَلِفُ أَلْوَانُهَا وَغَرَائِيبُ سُودٌ * وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفُ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى
اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ * إِنَّ الَّذِينَ يَتَلَوَّنَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا
رَزَقْنَاهُمْ سِرًا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ * لِيُوَفِّيهِمْ أَجُورُهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ
شَكُورٌ } [فاطر: ٢٧ - ٣٠] فلنعد إلى العلم؛ فالعلم ينبغي أن يكون أولاً؛ وثانياً،،،،، وعاشرًا؛ على أن يتبعه
العمل؛ باعتباره الترجمة الحرفية لقوانين العلم ونظرياته؛ ليتم بذلك التفاعل بين النظرية والتطبيق.

ولابد لطالب العلم من آداب يجب أن يتحلى بها ، نتعلمها مما فعله سيدنا موسى كليم الله (عليه السلام) – وهونبي مرسلا من أولي العزم من الرسل – مع عبد من عباد الله يتعلم منه، كما حكى القرآن الكريم ذلك في قوله تعالى : { قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تَعْلَمَنِ مِمَّا عَلِمْتَ رُشْدًا * قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِعَ مَعِي صَبَرًا * وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِيطْ بِهِ خُبْرًا * قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا
وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا } (الكهف ٦٩ - ٦٦)

كما أن على العالم أن يكون متزيّناً بجميل الأخلاق، فالعلم إن لم يرافقه أخلاق وقيم لا وزن له ولا اعتبار، ولا أثر له في سلوك صاحبه ولا في تغيير الآخرين، وصدق الشاعر حين قال :

لَا تَحْسِنَ الْعِلْمَ يَنْفَعُ وَحْدَهُ *** مَا لَمْ يُتَوَجَّ رَبُّهُ بِخَلَاقِ

فلا بد إدًا للعالم ولطالب العلم أن يتحلّيا بكميّم الأخلاق وأن يكون عملهما متفقاً مع قولهما حتى يؤثّر ذلك في المجتمع، فعندما ربّطت الأمة بين العلم والأخلاق ، عاشت في عزة ورفة بين الأمم ، وحيث كان الخلق والعلم توأميين ، كان الرقي ، وكان الازدهار ، ولم يعرف في التاريخ مثل حضارة أمتنا العظيمة ، التي كان أساسها العلم والأخلاق الفاضلة المستقة من الإسلام ، وصدق النبي الكريم (صلى الله عليه وسلم) حيث قال : (إِنَّمَا بُعْثِتُ لِأَنَّمِّ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ) [رواه الحاكم في المستدرك].

والعلم النافع هو العلم الذي يقود صاحبه إلى الفضائل ، ويحمله على التحلّي بالأخلاق العالية ، ويوجهها ويرشدّها ويحافظ عليها ، فمن ثمرات العلم النافع أنه يساعد على البناء والتعمير ، وليس الهدم والتخريب ، يساعد في الإصلاح لا الإفساد ، فعلى كل طالب علم أن يتحلّق بأخلاق الإسلام ، وأن يتأدّب بآداب العلماء ، وأن يسخر العلم الذي تعلمه لخدمة البشرية وبناء القيم في النفوس ، حتى لا تنتشر الفوضى ويعمّ الفساد ، فهِمَّةُ طالب العلم الابتكار والإبداع والتفوق ، لا الهدم والتخريب والإفساد ، فالعلم يدفع صاحبه إلى البناء لا الهدم ، وإلى استخدام العقل لا إلى إهماله ولا إلى تعطيله.

إننا بحاجة إلى تذكير أبنائنا وبناتنا في المدارس والمعاهد والجامعات بفضل العلم؛ وحثهم على طلبه خدمة لأنفسهم ومجتمعاتهم ورفعه لأهليهم وأوطانهم.

وجدير بنا أن ننبه أن الإسلام قد حرم الغش بكل أشكاله وألوانه، فقال نبينا (صلى الله عليه وسلم) : "مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مَنَّا" (رواه مسلم)، وفي رواية في صحيح مسلم أيضًا "مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مَنَّا" ذلك لأن الغش تزوير وتديليس وإعطاء شهادة أو قيمة لمن لا يستحق على حساب من يستحق ، وهو مما يجعل بناء الفرد هشا لا قيمة له ، ويدمر المجتمعات بقتل الكفاءات وتقديم غيرها عليها ، كما انه يورث الأحقاد والضغائن ، ويفتح أبواباً كثيرة من الشر والفساد .

نُسأَلَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَرْزُقَنَا الْعِلْمَ النَّافِعَ ، وَأَنْ يَجْعَلَنَا مِنَ السَّعَادِيْنَ الْعَامِلِيْنَ بِهِ ، إِنَّهُ وَلِيَ ذَلِكَ الْقَادِرُ عَلَيْهِ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

ملحوظة :

يتم التركيز في الخطبة الثانية على التحذير من الغش .